

## الفن العربي الإسلامي

### تعريف الفن العربي الإسلامي :

#### تعريف الفن الاسلامي

إن الكتب التي تناولت بالدراسة والبحث مفهوم الفن من منطلق إسلامي قليلة جداً، ذلك أن هذا الموضوع بمحتواه المتداول الآن لم يكن مطروحاً فيما مضى. بل كان الحديث يتناول كل فن على حدة. ضف الى ذلك قلة الباحثين الإسلاميين في هذا الميدان. وأكثر الذين كتبوا عن الفن والجمال، إنما كانت كتاباتهم ترجحات لكتب لم تتحدث عن الفن الإسلامي، أو تحدثت عنه بصفة قاصرة على مفاهيم فردية شرقية أو غربية.

ونتيجة لذلك فإن تعاريف الفن الإسلامي جاءت قليلة جداً. ويعد ما ذهب إليه الأستاذ محمد قطب من أهم ما قيل في هذا الصدد. حيث جاء في كتاب "منهج الفن الإسلامي". "والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام... إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود.

هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. (منهج الفن الإسلامي ص6، نقلاً عن الشريعة الإسلامية والفنون للقضاة ص 31). كما أنه "يعني جميع الجهود التي بذلها العالم الإسلامي منذ مجيء الإسلام في التعبير عن الجمال وصنع الأشياء الفنية" (الرفاعي، 1973).

وكذلك نستطيع القول انه هو الفن الذي يهيء اللقاء الكامل بين "الجمال" و"الحق". فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.

كان ذلك مما جاء في مقدمة الكتاب، ولم يقل المؤلف أنه يعتمد ذلك على أنه تعريف للفن الإسلامي.

ولكننا نجد في ثنايا الكتاب وفي أكثر من مكان، التأكيد على مفهوم للفن اختاره المؤلف، يقول فيه: "الفن - في أشكاله المختلفة - هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، أو من تصورهم لحقائق الوجود، في صورة جميلة مؤثرة."

وقال عن الفن الإسلامي: "إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود."

وعلى الرغم مما توصل إليه الأستاذ قطب من تحديد لمفهوم الفن الإسلامي إلا أنه لم يرد أن يعطي ما توصل إليه لقلب التعريف.

ويحاول الأستاذ محمد شمس الدين صدقي أن يعرفنا بالفن الإسلامي من خلال الحديث عن وظيفة هذا الفن فيقول: " يجب أن يكون نقل أو إيصال أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل مؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة إضافة إلى التأثير في سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم."

**بداياته:** وتشير المصادر التاريخية إلى أن العرب الذين سكنوا الحيرة قبل الإسلام مارسوا فن التصوير، وهذا ما تؤيده جملة من الأخبار الأدبية والتاريخية، فيذكر (ياقوت الحموي) في معجم البلدان (مادة دير نجران) أن أهل المنذر كانوا يجعلون من حيطان ديارهم الفسافس وسقوفها الذهب والصور، ويتضح من أساليب الرسوم، والنقوش المائية الجدارية (الفريسكو) (Fresco) المكتشفة في الحيرة أنها تتفق وأساليب الصور الآدمية والحيوانية التي وجدت في مباني (كيش) التي لا تبعد أكثر من ثلاثين ميلاً عن الحيرة. وجاء عن أخبار مكة (للأزرقي) وجود الصور الجدارية في جدران الكعبة، وسقوفها ملونة بألوان زاهية كصورة إبراهيم عليه السلام، كما يذكر ذلك السعودي في كتابه (مروج الذهب).

وكان للعرب نشاط فني واسع في (الحضر)، و(البتراء)، و(مديان)، و(موءاب)، الجارتين الجنوبية والشمالية (لأدوم) في الأردن، المملكتين، و (تدمر) و ((أوبدا)، و (دورا)، و(طيسفون)، و(الحيرة)، وغيرها من المدن العربية التي لها نشاط فني واسع كذلك. ومدينة الحضر كانت واقعة تحت تأثير الحضارة الآرامية المسترفة ينابيعها من القسم الشمالي من العراق في الحضارة الآشورية.

والحقيقة أنه ليس من السهل إيجاد أو صياغة تعريف للفن الإسلامي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة العناصر التي ينبغي مراعاتها عند تلك الصياغة. وهذا ما جعل الأستاذ قطب يلجأ إلى التعريف بالفن الإسلامي - لا إلى تعريفه - كما رأينا.

## التوحيد والفن:

والفن الإسلامي هو شكل من أشكال أو ميدان من ميادين الفكر والثقافة الإسلامية التي تستند على أصول عقائدية ودينية ثابتة، والتي ترجع إلى مبدأ واحد هو توحيد الله سبحانه وتعالى، وكل شكل ثقافي يخالف أو يعارض هذا المبدأ يخرج عن دائرة الفن الإسلامي. فالمضمون الإسلامي متوفر في الفن العربي الإسلامي، فلا يمكن أن يطرح عمل فني إلا بمضامين إسلامية سواء كان في العمارة أو الخط، أو المنمنمات أو الرواية، أو الشعر، وغايته نشر الفضائل والأخلاق والسلوكيات الإسلامية. والمعيار الأساسي لقياس وإدراك مدى إسلامية الشكل الفني هو توافقه مع قيم الإسلام.

**أولاً:** فن التصوير: والمقصود به التشكيل والتكوين والتجسيم. وردت إشارات إلى ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، قال الله تعالى: (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) سورة الأنبياء الآية 52 . وقال تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) سورة سبأ الآية 13 .

وورد في حديث ابن مسعود أن النبي (ص) قال: (إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون) متفق عليه. وهم الذين يصورون أشكال الحيوانات التي تعبد من دون الله كما قال القسطلاني في إرشاد الساري 481/8 .

وعن أبي سعيد قال: (أخبرنا النبي (ص). أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير). رواه الترمذي ومالك، وغير ذلك من الأحاديث.

وقد استعرض أحد الباحثين الأحاديث الواردة في التصوير والصور وخلص إلى أن المقصود بالصورة بالأحاديث التمثال. وأن هذا المعنى هو الأكثر وروداً ووضوحاً حيث تم ورودها بمعنى الرقم والنقش. وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في حكم التصوير، ويمكن أن نجمل الأحكام المتعلقة بالتصوير فيما يلي:

- 1- يحرم تصوير التماثيل وخاصة ما كان الهدف منه عبادة غير الله.

- 2- تحرم التماثيل المقصود بها مضاهاة خلق الله، أو المقصود بها التعظيم كتماثيل الزعماء والحكام.

- 3- تحرم تماثيل كل ما فيه روح ويستثنى من ذلك لعب الأطفال. 4- تحرم الصور غير المجسمة إذا قصد بها التعظيم. الإسلام والفن للقرضاوي ص 111-113

- 5- التصوير الفوتوغرافي والتصوير التلفزيوني. الأصل فيها الإباحة، إلا إذا كان أصل الصورة محرماً، كتصوير امرأة سافرة أو نحو ذلك. وكذلك يحرم هذا النوع من التصوير إذا ترتبت عليه مفساد، مثل الأفلام الخليعة، والأفلام التي تعلم الناس السرقة والميوعة والانحراف. وغير ذلك من طرق الفساد.

- 6- يترتب على ما سبق من الأحكام أنه لا يجوز العمل بأي شكل من الأشكال في كل ما يتعلق بهذه المحرمات. فيحرم صنع التماثيل وبيعها واتخاذها في البيوت وغيرها.

**الرسم وغايته التعليمية:** يعد الرسم - والخط منه - من الوسائل التعليمية الأولى مكانة، والأولى قدمًا، وهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالكلمة التي تعتبر الوسيلة التعليمية الأولى، بل كان الرسم في يوم من الأيام أصلًا للكلمة ومادة لها. ومع تقدم المدنية توسع ميدان هذه الوسيلة وتطور تطورًا واسعًا، فاستعملت الصورة الثابتة، والصورة المتحركة..والملونة..وهكذا أضحت الأداة التي يصعب الاستغناء عنها، ولا نحب الإطالة في الحديث عن هذا الجانب، فهو أمر واضح يعرف الجميع أهميته، ومدى ما توصل إليه من تقدم. والذي يهمنا قوله في

هذا الصدد، أن هذا الأمر ليس من مخترعات العصر، كما قلنا، فقد تعلمه المسلمون تلقياً عملياً من الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعد العمل به تنفيذاً للسنة العملية، وتأسياً به صلى الله عليه وسلم.

وقد يستغرب قولنا هذا، ولكننا إذا رجعنا إلى السيرة الشريفة وجدنا من المؤيدات الشيء الكثير، ونقتصر هنا على ذكر مثالين اثنين:

المثال الأول: قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: هذه سبيل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [1]. [2]"

### هذه صورة

المثال الثاني: "عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنه خط خطاً مربعاً، وخط خطاً وسط الخط المربع، وخطوطاً إلى جنب الخط الذي وسط الخط المربع، وخط خارج من الخط المربع.

قال: هل تدرون ما هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا الإنسان. الخط الأوسط.

وهذه الخطوط التي إلى جنبه الأعراس تهشبه من كل مكان إن أخطأه هذا أصابه هذا.

والخط المربع، الأجل المحيط به.

والخط الخارج، الأمل. [3]"

### الاجل [4]

يتبين مما سبق كيف أنه صلى الله عليه وسلم استعمل الخط والرسم وسيلة إيضاح وبيان، واستعان بهما للوصول إلى التصور الذهني الذي أراد بقاءه واضحاً جلياً في فكر أصحابه ومن بعدهم.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهاها على اللعب بلعب البنات. فهو أمر تعليمي يتصل بحياة الأنثى من تربية وعناية بالأطفال في مستقبل حياتها. ويحسن بنا الوقوف على نص الحديث:

"عن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات يوماً، فرما دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي الجوّاري، فإذا دخل خرجن، وإذا خرج دخلن." [5]

وفي رواية أخرى: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من غزوة تبوك أو خير، وفي سهوتها [6] ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعب لعائشة

فقال: ما هذا يا عائشة؟

قلت: بناتي. ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاد.

فقال: وما هذا الذي أرى وسطهن؟

قالت: فرس.

قال: وما هذا الذي عليه؟

قالت: جناحان.

قال: فرس له جناحان؟

قالت: أما سمعت أن لسليمان عليه السلام خيلاً لها أجنحة؟ فضحك حتى رأيت نواجذه. [7]

والحديث يؤدي أكثر من غرض. ففيه إقرار السيدة عائشة على فعلها، وهو الجانب المتعلق بموضوعنا [8]. قال ابن حجر في الفتح: "واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور. [9]"

وقياساً على ذلك، يكون من باب المباحات أن يتاح للأولاد ممارسة هواياتهم في الرسم في السن التعليمية، وهو أمر مهم في بناء شخصياتهم.

وإذن فالرسم كوسيلة تعليمية أمر يقره الإسلام، بل ويدعو إليه فهو من باب إحسان العمل الذي طالب به الإسلام. وهذا ما يفسر لنا عدم تخرج المسلمين في الرسم التعليمي حتى ولو كان تشبيهاً. وهكذا حفلت كتب الأطباء.. وغيرهم بالرسوم.

ولا يخرج على ذلك كتب الأدب التي زُينت بالرسوم، فعلى الرغم من أن هذه الرسوم حفل للعين فهي كذلك وسيلة إيضاح تنقل الوضع الاجتماعي للعصر الذي وضعت فيه. وقد أوضحنا فيما سبق أنها ظلت مساوقة للمنهج الإسلامي...

وهذا الذي نقوله يعد بدهية من البدهيات التي يعرفها من له أقل صلة بالسنة النبوية، ولذا فنحن نستغرب فتوى الإمام محمد عبده، حيث بنى حكمه فيها، على عدم معقولة منع الإسلام لما فيه نفع للقضية التعليمية [10].

## كتاب الفن الإسلامي التزام وإبداع

[1] سورة الأنعام: الآية 153.

[2] الحديث ذكره القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وقال: رواه الدارمي في مسنده بإسناد صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر. وقد أورده في صدد تفسير الآية المذكورة.

[3] رواه أحمد في مسنده 385/1، ورواه البخاري بلفظ قريب في كتاب الرقاق باب 4 الحديث 6417 وفي الفتح 235/11، وفي منتخب كنز العمال هامش المسند 276/1.

### ثانياً: الموسيقى والغناء :

وهي من المواطن الشائكة في البحث العلمي.

وخلاصة أحكام الموسيقى وعلى وجه الدقة الآلات الموسيقية:

- 1- لا يسلم القول بتحريمها مطلقاً كما أنه لا يسلم القول بإباحتها على الإطلاق.
- 2- تحريم المعازف والمزامير لقوة الأدلة على ذلك ومنها حديث أبي عامر الأشعري أنه سمع النبي (ص) يقول: ( ليكونن من أممي أقوام يستحلون الحر والحرير والمغازف) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً. والصحيح من أقوال المحدثين أن حديث أبي عامر الأشعري ثابت لا مطعن فيه. ولا يسلم تضعيف ابن

حزم ومن تابعه للحديث، وهذا قول الحافظ ابن حجر والقسطلاني والعيني وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشوكاني وغيرهم. الشريعة الإسلامية والفنون للقضاة 213-214.

3- يباح الدف وطبل الغزاة ونحوهما في الأعراس.

أما الغناء فخلاصة الأحكام فيه ما يلي:

- 1 - تحريم الغناء الذي يتغنى فيه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل.
- 2- غناء النساء للنساء مباح والشئ نفسه بين الرجال، ما لم يتضمن هذا الغناء الكلام الفاحش أو يؤدي إلى فتنة.
- 3- الغناء المصاحب للمعازف حرام، وهو الراجح من أقوال العلماء
- 4- الأغاني الحديثة يغلب عليها التحريم، وخاصة التي تظهر على شكل فيديو كليب.
- 5- إن الغناء المباح اذا شغل الناس وألهاهم عن تأدية الواجبات يصير حراماً.

#### ثالثاً: التمثيل:

- يحرم التمثيل في العروض المتضمنة المشاهد الغير اخلاقية او الإباحية، كالاختلاط في التمثيل (الرجل مع المرأة). السفور والعري وجميع الفواحش.
- تحريم تمثيل الأنبياء والصحابة.

#### آثار التحريم على الفن التشكيلي:

فهم الفنان المسلم وقوع التحريم على الفن التجسيبي فنحى منحاً تجريدياً، وذلك من خلال الزخارف لتحقيق الانسيابية في الخطوط، والالتزان الهندسي، والتوافق اللوني، وهي المقدمة اللازمة لفن تجريدي أصيل. وقد توقف التعبير الفني في صدر الإسلام للأسباب التالية:

أولاً: كان التلقي القرآني قوياً حيث بهرهم النور القرآني وأوقفهم عن التعبير مؤقتاً. وهي فترة الدهشة التي تسبق الإنتاج الفني.

ثانياً: كان الرصيد الثقافي رصيماً جاهلياً، وهذا الرصيد لا يصلح للدين الجديد والحياة الإيمانية الجديدة. فلا بد إذن من وقت لاستجماع رصيد جديد يصلح للحياة الجديدة لبعث أمة جديدة لها رسالة حضارية.

ثالثاً: لم يزاول العرب الفن التشكيلي من نحت وتصوير بحكم مواده الجامدة في المكان، وبحكم ترحالهم الدائم، فكان فهم زمانياً، فمارسوا فن الشعر والفنون التشكيلية الأخرى التي تنسجم مع طبيعتهم البدوية. ولهذا لم يتميزوا في فن النحت والتصوير. وكل ما كان ينحت كان ينحت كصنم معبود.

رابعاً: أخرج الإسلام الفن من دور العبادة إلى الطبيعة الرحبة والكون الفسيح، وحواله من خدمة الآلهة إلى خدمة التدين في الإنسان. فكان تأثير التحريم قوياً على الفن المستخدم كأداة الوثنية للآلهة المعبودة في تلك الدور التعبدية، فأوقف هذا النوع من الفن الذي يخدم الآلهة الوثنية.

خامساً: انشغل المسلمون بالفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة والتصدي للوثنية، وقد أسقط المسلمون انفعالاتهم النفسية وقدراتهم في الدعوة والجهاد.

سادساً: كان الفن جينياً في رحم الأمة الإسلامية، وكان لابد من ولادة جديدة لفهم حضاري جديد من خلال التصور الإسلامي للوجود .



## ميادين الفن التشكيلي الاسلامي:

### 1\_ الخط العربي:

اهتم المسلمون بالكتابة وأكبروا القلم وقدسوا العلم وأول آية نزلت في القرآن الكريم هي: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم). ويقسم الله بالقلم في قوله تعالى: (ن، والقلم وما يسطرون).

والكتابة قديمة قدم التاريخ الإنساني. وقد اهتم الإسلام بالكتابة. ويعد الرسول (ص) أول من عمل على تعليم ونشر الكتابة وعنى بتعليم النساء. فقد جعل فدية من يكتب من أسرى (بدر) تعليم الكتابة لعشر من مسلمي المدينة.

وأول من وضع الخط العربي هم: مرارة بن مرة وأسلم بن سدره، وعامر بن جدره. وأول من نقط الحروف هو أبو الأسود الدؤلي وذلك بوضع علامات على شكل نقط ليبدل على الرفع والنصب والجر. إن أول واضع حقيقي للنقاط على الحروف هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو من وضع الحركات الإعرابية. وكذلك هو مكتشف علم العروض.

كما انه هناك أسماء عديدة من الخطاطين، أمثال مالك بن دينار، وكان أشهرهم الوزير بن مقلة وأميرهم ابن البواب، وإمامهم ياقوت المستعصي.

كان الخط أول مظهر من مظاهر الفن والجمال الذي عنى به العرب بعد إسلامهم، وكان ذلك في تجميل وتجويد الخط العربي وتحريكه. وقد سما الخط إلى مرتبة عالية لتعامله مع حروف القرآن منذ نزوله. حيث تعاملوا مع الخط بقدرسية إذ زينوا به المصاحف وأماكن العبادة، باللوحات الخطية.

وقد أحيط الخط الكوفي بهالة من الإكبار. وظلت الأغراض اليومية تكتب بالخط النسخي والرقعة. ثم برز الخط الديواني للدواوين الحكومية كالخطوط الهيروغليفية في مصر القديمة.

كان الخط العربي وسيلة للعلم حتى أصبح مظهراً من مظاهر الجمال، وقد حرك الفنان المسلم الخطوط الجافة وأضاف إليها الزخارف حتى غدت لوحات فنية. وقد استخدمت الكتابة في قوالب زخرفية محل الصورة، وعكست نوعاً من التعبير له خصائصه التي تتيح له التعبير عن قيم جمالية ترتبط بقيم عقائدية. سخر الفنان المسلم كل طاقاته عندما كتب الآيات القرآنية على الجدران والواجهات والعقود والأبواب والمنابر ليحمل في نفس الوقت شكلاً فنياً على أسس جمالية رياضية.

وقد تجاوز الخط العربي الديار العربية والديار الإسلامية. حيث استخدمه الفنان (جيوتو) في زخرفة لوحاته، واستخدمه كذلك الفنان الألماني (هانس هولبين). وقد استخدم الخط العربي التجريدي داخل

نسيج اللوحات فنانون أمثال (ماتيس \_ بول كلي \_ بيكاسو \_ كاندنسكي).  
ونجد أن الخط العربي يأخذ مكانه اللائق في الفن من تجويد وتحسين، وفي استخدامه لأشكال  
تجريدية. فمثلاً الخط عند (شبرين) معماري التكوين. ويتقبل كمنط مرئي ومصور.

## ب\_ الزخرفة الإسلامية

يعتبر فن الزخرفة فن قديم قدم الإنسان. وقد أعطى الفنان المسلم هذا اللون من الفن كينونة. فخور  
الأشكال وجردها لإحداث الحركة التي تعطي طابع الاستمرارية وتوحي بلا نهائية الأشكال المتكررة لتحقيق  
الانسايية.

وبتأثير التحريم على فن النحت والتصوير اتجه الفن الإسلامي نحو الزخرفة فأنشأ زخارف قائمة بذاتها  
وزخارف تحتويها الأشكال.

والزخرفة الإسلامية عبارة عن وحدات هندسية أو قل إنها وحدات رياضية يراد بها التفكير الرياضي  
للوصول إلى حقيقة لا تتعلق بمكان معين ولا زمان معين. فحقيقة المثلث أو المربع أو الدائرة تظل حقيقة عقلية  
في تجردها وانطلاقها.

وقد أخذ الفنان المسلم من الطبيعة من شجيراتنا وأوراقها وأزهارها وحيواناتنا بعد تحويلها لتعطي الحركة  
الداخلية في تداخل الأشكال الهندسية، فتدرك العين تلك الحركة من خلال الخطوط المتداخلة، وتلك  
الموسيقى الصادرة عن الأشياء تعبر عنها الحركة الزمانية التي تمثل الديمومة والاستمرارية في حركاتها اللانهائية.  
وليس الفن الإبداعي براعة في تصوير المناظر بالمحاكاة القائمة على الدقة والقادرة على إيجاد الصلة بين  
العين والأشياء فقط، بل الإبداع الفني الذي يصل حد الروعة الجمالية. فليس الفن في نقل ما في الطبيعة  
فقط بل البحث عن طبيعة الأشياء.

وقد تميزت الزخرفة الإسلامية بجوانب تكمن في العلاقة القائمة بين الوحدات الزخرفية المتكررة والمتنوعة  
في تكاملها الهندسي واتساقها الفني. فالخطوط الهندسية والنظرة الرياضية لعالم الأشياء هو تجريد ذهني  
للجزئي ليصبح كلياً، ولهذا أمكن للوحدات الهندسية المتناهية من تكوين أشكال لا نهائية. وبهذا يلتقي فن  
الأرابيسك (Arabesque) مع الفن التجريدي في مجال الانطلاق للتعبير عن المطلق.

## ج- العمارة الإسلامية

تأثرت العمارة الإسلامية بالحضارات التي احتكت بها والبلاد التي فتحتها فتأثرت بالأساليب البيزنطية والهيلينية والساسانية والإيرانية بالإضافة الى الرصيد الحضاري للحضارة العربية في الجزيرة العربية، ورغم هذه التأثيرات نلاحظ الوحدة في الفن الإسلامي على الرغم من تعدد المراكز وبعد المواقع وذلك راجع لوحدة المنبع والأساس الفكري للحضارة الإسلامية.

فقد تعامل المسلمون بذكاء حضاري مع الثقافات الجديدة إذ أبقت عليها وأضافت إليها ولم تحاول طمس تلك الثقافات بل سمت بها ووجهتها الوجهة الصحيحة من خلال أرضية قوية تتجه إلى هدف واحد. استخدم المهندس الإسلامي الأعمدة المتنوعة وأدخل الفسيفساء والزخارف النباتية والهندسية وحوورها، وذلك لانعدام الصور والتماثيل في العمارة الإسلامية خاصة في المساجد. واهتم بالتصميم المعماري. تعكس العمارة المحتوى الحضاري لأي تكتل حضاري، فهي قوة حضارية وهي كتاب مفتوح تسجل فيه الشعوب تاريخها.

والعمارة فن، والفن أصدق أبناء التاريخ، لأنه الكاشف عن حقائق التاريخ. والعمارة إبداع والإبداع خاصية إنسانية، اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات. فبيوت العنكبوت والنمل وخلايا النحل صادرة عن عقل غريزي غير متطور من خلال ذاكرة لحظية، وهكذا ستظل تلك البيوت والخلايا كما كانت عليها خارجة عن دورة الزمن. إلا أن الإنسان له عقل إبداعي متطور من خلال ذاكرة مناسبة لإبداع يسير مع الزمان.

إن العمارة جمال فالمعماري يحاول تجميل الفراغين الداخلي والخارجي ليصلح للحياة الحضارية، إذن فهي فن وإبداع وجمال. وبها بنى الإنسان حضارته بفضل ما استحدثته من عمران من خلال عقله الإبداعي. وقد سجلت العمارة الإسلامية، مسيرتها الحضارية من خلال طرزها المختلفة. إذ نجد الوحدة الحضارية التي امتدت من أقصى بلاد المغرب العربي إلى أقصى بلاد الهند من خليج البنغال إلى جزيرة إيبيريا.

إن مئذنة جامع (الكتبية) بمراكش ومئذنة جامع (قطب زادة بدلهي) تبدوان أمام المتتبع كبروج للحدود الإسلامية. وإن كانت هذه الحدود قد امتدت أبعد من ذلك. وحين نعلم أن هاتين المنارتين قد شيدتا في زمن واحد فبإمكاننا أن نعتبرهما بمثابة رمزين جميلين لوحدة العالم الإسلامي.

والفنان المسلم لا يفرق بين العمار الشاهقة والتحف الصغيرة، فيستوي في ذلك القصر المنيف والكوخ الحقير وآنية الذهب والطين، ولم يفرق بين تحفة غني وسلعة فقير. بل هدفه هو تجميل الدنيا في شتى زواياها

ومرافقتها لتعطي جمالاً ذاتياً يشيع في النفس الغبطة وفي القلب الرضى، ويشهد لمبدعيه بحس جمالي عميق، وللمتدوقين بحس تذوقى نقدي فتحول المتلقي السلبي إلى متدوق إيجابي يشارك في العملية الإبداعية في خدمة الإنسان.

وهكذا تحول الاهتمام بالفنون التطبيقية وتحول الفن في خدمة الحياة الإنسانية، حيث كانت الروعة في الصناعات الدقيقة التي غدت تحفاً فنية. مما جعلهم يبتكرون ويهتمون بالعمل اليدوي ويقدمونه. فقد كان تحريم استخدام آنية الذهب والفضة دافعاً لاكتشاف الخزف ذي البريق المعدني وكذلك كان تحريم لبس الحرير للرجال \_ دافعاً لاستخدام الزخرفة النسجية.

وهكذا فتح الباب واسعاً أمام الفنانين لكي يبتكروا ويبدعوا اعتماداً على العمل الفني المتقن لتحقيق القيم الجمالية مع القيمة النفسية وبهذا دخل الابتكار مجال التصنيع.

ومن أهم المجالات التي أثرت في المسيرة الفنية للفن الإسلامي بصفة غير مباشرة هي (الحسبة) و (الوقف) وذلك في مجال مراجعة الأحوال ومراقبتها وترشيدها فتحسن الإنتاج الفني وارتقى، وانحصر التنافس في الجودة والأصالة. وكان التعامل شريفاً تبعاً لقول الرسول (ص): "من غشنا ليس منا" فعمل الفنان المسلم بهذا الحديث الشريف ونفذ عمله بدقة. فتحوّلت الأعمال النفعية والمشغولات اليومية إلى تحف جمالية ترضي الصانع والبائع والمشتري والمشاهد.

## خصائص الفن الإسلامي :

1- يقوم الفن الإسلامي على العبودية الخالصة لله تعالى، فهو يقوم على أساس عقيدة التوحيد وعلى تصور شامل للإنسان والكون والحياة. الفن الإسلامي للشامي ص 37. وذلك في الوقت الذي قامت فيه الفنون غير الإسلامية على التعبير عن التصورات الوثنية والانفعالات الخاطئة. وأخذت تصور الآلهة على اللوحات أو تمثلها في التمثيليات أو تخاطبها في لحن موسيقي وكلام غنائي، وكذلك تجسد تلك المبادئ عبر فنونها على شكل أبطال يصارعون الآلهة، مع وضعها آلهة لكل شيء في حياتهم، فللخمر إله وللشر إله وللخير إله وللخصب إله وهكذا. ثم إن القصة أو التمثيلية أو اللوحة المصورة في تصورهم يجب أن تترجم الصراع بين الإنسان والقضاء والقدر. والفنان إنما هو إله أو نصف إله لأنه يكمل في فنه ما خفي من الكون. الشريعة الإسلامية والفنون للقضاء ص 34-35 .

2- التحرر من الخرافات والأساطير التي تعتبر المادة الأساسية للفنون غير الإسلامية، وذلك لأن التصور الإسلامي حارب الخرافات وحرر العقول من الأساطير. وهذه الخرافات لا تتفق مع التصور الإسلامي للكون

والإنسان والحياة بل تعتبر لوناً من ألوان الوثنية وإن كانت تسمى فناً. الشريعة الإسلامية والفنون للقضاة ص34.

- 3- إن الفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية، والوسيلة تشرف بشرف الغاية التي تؤدي إليها. ولذا ليس الفن للفن وإنما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة وفي سبيل الخير والجمال.
  - 4- للفن في التصور الإسلامي غاية وهدف. إذ كل أمر يخلو من ذلك فهو عبث وباطل، والفن الإسلامي فوق العبث والباطل. وحياة الإنسان ووقته أثن من أن يكون طعمة للعبث الذي لا طائل من ورائه.
  - 5- يهدف الفن الإسلامي إلى إيصال الجمال إلى حس المشاهد أو المتلقي. ومحاولة الارتقاء بذوقه نحو الأسمى والأعلى والأحسن، أي نحو الأجل. فهو اتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والإنتاج ورفض للمهبط.
- الفن الإسلامي للشامي 39.

6- استقلالية الفن وتميزه نظراً لاستقلالية التصور الإسلامي من كل الضغوطات الاجتماعية وغير الاجتماعية التي كانت تؤثر على الفنون في العصور القديمة، ونظراً لتمييزه عن كل التصورات فإن منه يستقل ويتميز عن كل الفنون سواء كان هذا الفن شعراً أو قصة أو تصويراً أو تمثيلاً. ويكفي أن الفن الإسلامي متحرر من القيود الوثنية التي أحاطت بالفنون خاصة في القرون القديمة والوسطى عند الفراعنة واليونان وأوروبا الكنسية وسبقه متميزاً عن غيره .

### طرز الفن الاسلامي:

أصبح العرب بعد الفتح الاسلامي مباشرة سادة البلاد وسيطر الذوق العربي على كافة مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية والمعيشية، وشعر الامويون بالحاجة الى أن يقيموا عمائر تسيطر على مظاهر العمران في البلاد التي فرضوا سيطرتهم عليها. والقدس هي الالهة، فكانت قبة الصخرة المشرفة وما تضمنته من فن العمارة والزخرفة، إضافة الى المسجد الاموي في دمشق والقصور الصحراوية، وقصر هشام في اربحا. يصف الدكتور فواز طوقان في كتابه الحائر تلك العمائر والقصور الصحراوية ويحللها ويظهر ما فيها من مفاهيم ذات معانٍ اجتماعية وثقافية بالاضافة الى الوصف الهندسي والفني الذي يعطي برهاناً قوياً لعروبة هذه العمارة. (طوقان، 1979) (والتي تمثل الطراز الاموي الذي يعد اول الطرز العربية / الاسلامية ) محمدحسن، 1948.

ظهرت الطرز الفنية الإسلامية في عصر الدويلات لأسباب سياسية مردها اهتمام الخلفاء والولاة

بمنشآتهم حتى تضاهي غيرها من المنشآت. يقول د. عفيف بهنسي في الوحدة والتنوع في الفن الإسلامي (بهنسي، العمارة العربية): "على أن تنوع الفن الذي ابتداءً منذ القرون الأولى التي استقر فيها العرب والإسلام

في أصقاع جديده كانت ذات تقاليد مستورده... ومع ذلك فإن الفن الذي ظهر مع الفاتحين الأوائل اعتمد الآثار القائمه منطلقاً أساسياً، ويتنامى هذا التنوع ويزداد وهو لا يقتصر على شكل العبارة أو زخارفها، بل أنه يمتد الى جميع فنون التشكيل أو التطبيق". يقول د. زكي محمد حسن (محمد حسن، 1948): "وهكذا يتحول الطراز من رغبة عند الملوك الى ثقافة لدى الشعوب. وقد رأينا أن هذه الطرز تنسب الى شتى الدول التي بسطت سلطانها على أنحاء العالم الاسلامي، أو الى بعض الأقاليم الاسلاميه نفسها. لكن علينا أن نتذكر دائماً اذا كان من الممكن معرفة التاريخ الذي بدأت فيه الأسر الحاكمة أو زال سلطانها فاننا لا نستطيع أن نعرف على وجه التحديد تاريخ قيام أي طراز فني أو تاريخ زواله. وذلك لأن هذه الطرز تتطور فينشأ بعضها من بعض، فالفصل بينها وضعي واصطلاحي الى حد كبير. والحق أنها تتصل وينثر بعضها في بعض. فالطراز الفاطمي مثلاً لم يظهر في مصر تماماً الا في الجزء الأخير من القرن الرابع الهجري، "في حين أن حكم الفاطميين في وادي النيل بدأ منذ سنة 358هـ/969 م."

اتخذ الفن الاسلامي اتجاهاً جديداً، فقام الطراز العباسي الذي غلبت عليه الأساليب الفنية الفارسية (محمد حسن، 1948)، وبلغ هذا الطراز عظمته في مدينة سامراء في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ولكن دب فيه الضعف حين وهن سلطان الخلافة العباسية، وبدأت الأقاليم الاسلاميه المختلفة في الاستقلال عنها، وقامت في أنحاء العالم الاسلامي دول مستقلة، وأدى هذا الاستقلال السياسي الى استقلال فني، فتمت منذ القرن الخامس الهجري طرز فنية مستقلة في شتى أنحاء الدولة الاسلاميه.

الى ان انتهى المطاف بالفن الاسلامي الى أن يتوزع في خمسة مناطق جغرافية بخمسة طرز فنية مستقلة، لكن يربط بينها مبدأ من الوحدة في التعبير الفني بالرغم من اختلافات الأذواق المحلية وهذه الطرز هي:

- 1- الطراز السوري المصري (وقد تبلور في العهد المملوكي). 2- الطراز التركي السلجوقي. 3- الطراز الفارسي. 4- الطراز الهندي الباكستاني. 5- الطراز الأندلسي الشمال افريقي.

ومجمل القول فقد سار الفن الإسلامي عبر ثلاثة محاور:

- الطور الأول في الاقتباس والتقليد ويشتمل على عصر بني أمية.
- الطور الثاني في الممارسة والابتكار ويشتمل على عصر العباسيين والطورانيين.
- ثم طور الإبداع ويشتمل على عهد الفاطميين ووصل قمته الإبداعية في الأندلس.

وأخيراً كان طور التدهور في القرن العاشر الهجري، ثم كانت الساحة خاوية لتبدأ النهضة من جديد وذلك بازدياد الوعي الإسلامي الذي لازم الصحوة الإسلامية الحديثة.

### الخلاصة:

إن التأسيس لفن من خلال التصور الإسلامي يدفعنا ويفرض علينا إحياء الفن الإسلامي الكلاسيكي كأساس يعتمد عليه الفن التجريدي المعاصر. وذلك من أجل تحقيق الإنسيابية من خلال حل مشكلة الزمن في الفن التشكيلي، بإيجاد الحركة الداخلية للأشكال الساكنة، وذلك بإنتاج فنون لها موسيقى بصرية تحقق إيقاعات جمالية. فالموسيقى هندسة في الأنغام، والنحت هندسة في الأشكال، والألوان هندسة في الأضواء، والزخرفة هندسة في الوحدات، والخط هندسة في التركيب. وكل شيء قائم على هندسية الأشكال وتنظيم في تركيب الأشياء، بنظام وتناسق، ومن هذا النظام المتناسق تتألف الموسيقى، والتي هي اللغة الفنية التي تبتغىها كل الفنون وتسعى إليها لتنسجم مع الموسيقى الكونية.

فيجب على الفنان المعاصر أن تكون له رؤية أشد وضوحاً لما هو كائن لكي يغوص في كوامن الأشياء والكشف عن بواطنه ليدرك الفنان أسرار التنغم والتناسق الكامنين في العالم المرئي وغير المرئي والمحسوس وغير المحسوس والمسموع وغير المسموع.

والفن من خلال التصور الإسلامي للوجود ومن خلال تصوره للكون يحكي عن الموجودات الكونية (الكائنة والكامنة) ليرسمه في لا نهائيته وفي ديمومته وفي انسيابه عبر الزمان. ليكون فناً خالداً. والفن الخالد هو الذي يعبر تعبيراً صادقاً لمعتقد الخلود، والخلود لا تمثله الجزئيات المتغيرة إنما تمثله كليات الحركة والصيورة الدائمة من خلال السيل المتدفق.

فالذي يقصد الجزئيات ينتج فناً جزئياً متغيراً فانياً، ويكون الفن خالداً عندما يعبر عن قيم ومعتقدات صادقة، ويكون خالداً عندما يقبل الخلود في كلياته المتحركة لا في جزئياته وصفاته المتغيرة، بل في حركته الكلية اللامتناهية والذي يأتي تعبيراً عن عقيدة صادقة في اتصاله بالزمان لا المكان المتغير، وإن اتصل بالمكان فهو اتصال يوحي بخلود هذا المكان.

يكون ذلك بتوسيع رقعة الفن ليشمل كل ما هو جميل من خلال قاعدة فسيحة تشمل كل الوجود،

لأن الفن هو التعبير الجميل عن حقائق الوجود ليتحدث عن الكون فيراه خلية حية متعاطفة ذات روح تسبح وتخشع وبهذا تتوسع دائرة الفن من خلال توسيع دائرة الشوق حتى تشمل الأشواق العليا. وهكذا تنسجم رسالة الفن مع رسالة الإسلام الخالدة في دعوتها للحق والخير والجمال والاستعلاء والاعتدال والنظام فيكون الفنان مبدعاً تقياً خاشعاً ونقياً.